الامامة فريضة واجبة فكيف يحكى سكوت النبي صلى الله عليه وسلم عن بيان الواجب بظنوننا
والظن يخطي ويصيب والظن ضد العلم فقد ردوا الغرض الواجب الى الظن والوهم
والظن جهل والجهل لا يجوز الاخذ به وقد رجع امرهم الى الجهل قلنا هذه غاية شبهة
يلتفون بها لانهم ينكرون الاقيسة الشرعية ويدعون الرجوع الى النص في جميع الاحكام
ونحن نبين جهلهم في ذلك فنقول رد الحقوق الى النصوص مما لا يتصور وجوده اصلا
وهذا مما نعلمه ضرورة ونتيقن ان النبي صلى الله عليه وسلم ما نص على جميع الاحكام الاحكام
الشرعية والنصوص التي وردت عنه لا تكون عشر معشار الاحكام فرد الخلق في الاحكام
الى الاقيسة الشرعية ضرورة ومن انكر بطلان الاقضية والحكومات بالشهادات المستندة
الى بحث يسير وسبب قريب لا يطلع الناظر فيه على احوال الشهود فقد انكر قاعدة
من الشرع عظيمة لا يسوغ جحدها من وقر الاسلام في صدره وكذلك قول المفتين
مظنون عن المستفتين والتعويل على قول الثقات في احكام المعاملات وتصديق
الايمان في امر السبل والطرقات لا ينكره عاقل فاذا اعضلت الاشكالات وتعارضت
الاحتمالات فالرجوع الى الغالب الظن في كل فن داب ذوي البصائر وهو من ثمرات العقول
فكيف يعد من مستقبحاتها معظم وجوه الرأي والنظر في العواقب ظنون ومتى
لم يتبع الناظر ارشادها الزم ان يفعل ما يتفق وهو الخرق بعينه ثم انا نستقيم
لهم ما ذكروه ان لو كانوا يدعونا الى يقين ومعقل في الدين حصين وغايتهم التعطيل
والتبطيل والانسلال عن ربقة التكليف والانحلال عن ربط التعريف وترك الناس
سدى يموج بعضهم في بعض على التعرض بوعد وخبر وقول مزخرف وامام منتظر
ولا يدعوا الى الخروج من محاسن الشريعة الى هذه المسالك البعيدة الا هاذ بنفسه
مستهين بدينه وما زال العدل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكمون بالاقيسة والظنون
عصرا بعد عصر وقد نقل عن الصحابة والتابعين ما لا يحصى من الفتاوى والاقيسة
والمجتهدات وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انما احكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه شيء
وقال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته
من بعض فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذنه فانما اقطع له قطعة من النار
وحديث معاذ حديث متفق عليه في الصحيحين انه قال يا معاذ بم تحكم قال بكتاب الله

قال فان لم يجد

قال فان لم يجد قال اقيسه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم يجد قال اقيس
المسائل بعضها على بعض قال فان لم يجدها تقيس عليه قال اجتهد برأيي فقال صلى الله
عليه وسلم الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضى به رسوله فقد بين
جواز الاجتهاد والاخذ بالقياس والرأي عند عدم النصوص فان قالوا انما يقع
الاجتهاد فيما لم يجد له وجودا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما ما وقع في
زمانه وهو من الواجبات العظيمة التي تحتاج الى البيان مثل الامامة فكيف يتصور
منه وهو المرشد الهادي ان يهمل امر امته ويتركهم مترددين يموجون في مهاوي
الظنون والبيان عليه واجب وحاشاه ان يترك وهو مامور بالبيان فنقول بل
ابان كل البيان وكان الواجب عليه ما فعله والحكم الصائب ما رتبه وقول القائل
كان الواجب عليه فلم يفعل محال وقولهم لم سكت عن البيان فما سكت بل اشار الى الا
ختيار وعلمهم طريق النظر وهداهم الى العمل بالاختيار والنظر وتعبد قلوبهم با
لاجتهاد دون النظر في طلب الواجب كما تعبد جوارحهم بسائر العبادات لتكون
الجوارح مقيدة بالعبادات البدنية والقلوب متعبدة بالعمل في الفكر في العلوم
النظرية فكان سكوته عن التصريح بالنص القاطع ليمنع منهم اعمال الخواطر في تحصيل
الواجب ونبههم بقوله على وجوب نصب الامام وامرهم بمراعاة الفضل فقال
من ولى على المسلمين من يعلم ان فيهم من هو افضل منه فقد خان الله ورسوله ولو نص
وعين النصوص عليه بطل النظر وصار الامر مقصورا على النصوص عليه ووقفت
الافكار وبطل تعبدات القلوب وادى ذلك الى اختلال امور الامامة كما ذكرنا
وان ما لم يبين للامامة حال مستحق بعده فيحتاج الى استعانة رأي اهل النظر فجعل
الشرع لهم نظرا في ذلك وجعل للامام مخرجا من وجوب النص على غيره فكان سكوته
عن التصريح بالنص من اعظم الفوائد فان الامام ذو نظر وربما كان الصواب
في اجتماع رأيهم على من يعرفون استحقاقه وقد قال علي كرم الله وجهه يوما على المنبر
اجتمع رأي الشيخين على ان امهات الاولاد لا يبعن والان ارى ان يبعن فقال ابن
عباس يا امير المؤمنين رأيك مع رأي الشيخين احب الينا من رأيك وحدك فقال
الرأي رأي الشيخين فان قالوا الامام لا يحتاج الى رأي غيره ولا يكون اماما الا من يكون

Copyright © King Saud University